١٤ اكتوبر - العدد ٥٣٩٥
١٩٨١/١٠/٢٣م . صـ٤

اثر الاسرة في تربية الطفل

علوى عبدالله طاهر

مما لاشك فيه ان للبيئة الاجتماعية اثرا كبيرا في تكوين شخصية الانسان ، وتوجيه سلوكه ، وتطوير افكاره . فهي التي توقظ فيه القوى الكامنة ، وتحرك فيه الغرائز الدفينة، وتنمي فيه المواهب المتعددة .

والاسرة هي البيئة الاجتماعية الاولى التي يحيا فيها الانسان، ويتاثر بها كثيرا ، سواء من حيث تكوينه الجسمي او العقلي او الوجداني او الخلقي ، او من حيث اكتسابه العادات والتقاليد والافكار والقيم والاتجاهات .

فنمو الطفل يتاثر بظروف الاسرة، وباجواء المنزل ، وبمستوى المعيشة داخل الاسرة ، وانتشار الوعي الصحي والثقافي والاجتماعي بين افرادها ، فالطفل يتاثر بكل مايحيط به من منبهات منزلية ، ويكيف سلوكه تبعا لها .

فالطفل الذي يجد نفسه محاطا بكل مايساعده في تربية فكره ، وتهذيب ذوقه ، من مكتبة غنية ، وصور جميلة ، وحديقة يلعب فيها، ولعب وادوات يلهوبها ، ومذياع او تلفاز يستمع اليها او يشاهدها ... ويجد الى جانب ذلك اما حنونه ،وابا عطوفا ، واسرة يسودها الوئام والانسجام .. فهذا الطفل سيجد فرصة للتعلم ، وسينمو في جوانب مختلفة .

اما الطفل الذي ينشا في مسكن مزدحم ، ويعيش بين اسرة مفككة، وجاهلة باساليب التربية الحديثة، والتوجيه السليم ، الى جانب جهلها باساليب الوقاية من الامراض ..فمثل هذا الطفل قد يخفق في التعليم، ويسوء سلوكه ، وتضطرب نفسيته .

ان تاثير الاسرة في تربية الاطفال كبير جدا ، ويتجلى ، هذا التاثير في جميع جوانب نمو الطفل، فهي تؤثر في لغته ، وفي سلوكه، وفي معاملاته ، وكذا في ذوقه الفني وتقديره لجمال الطبيعة ورؤيته الى الحياة ، الى جانب تاثيرها في صحته وفي تكيفه الاجتماعي .

ويرى علماء الاجتماع والتربية ان الاسرة هي اصلح بيئة لتربية الطفل وتكوينه ، ولاسيما في السنوات الاولى من عمره . ولذلك فان نشاة الطفل مع والديه خير وسيلة لتهذيب انفعالاته ووجدانه ، وتقويم سلوكه. ولكن جهل الاسرة باساليب التربية الحديثة ، قد يؤدي الى اوخم النتائج فقد يندفع الاب او الام وراء حبه لطفله وعاطفته نحوه ، فلا يستخدم الحزم والحكمة في الوقت المناسب ، او يكون قاسيا على الطفل مثقلا عليه ، فيصبح هذا الطفل ضحية لسوء المعاملة .

ان الروابط التي تربط الاب والام بالابن والبنت هي روابط عاطفية، والاباء في كثير من الاحيان لايفكرون تفكيرا جيدا عندما يعالجون مشاكل اطفالهم ، فتكون مواقفهم واعمالهم في بعض الاحيان غير منطقية ، وغير منسجمة ، لانهم يميلون الى الاعتماد على الغريزة والبديهة في معالجة القضايا التي تهم اطفالهم .

وفي مجتمعنا اليمني تبرز بعض الممارسات الخاطئة في بعض الاسر، وتتمثل هذه الممارسات في اساليب التربية ، وطرق التعامل مع الاطفال، من الجنسين ، ممايؤثر تاثيرا كبيرا على سلوك البنين والبنات ،وبالتالي على مستقبل حياتهم . ويمكنني هنا ان اعرض نماذج لبعض الممارسات، واساليب التربية المختلفة المتبعة في العديد من الاسر في مجتمعنا . فمنها ماهو سلبي ، ومنها ماهو ايجابي، وهذا الاختلاف في اساليب التربية يرجع في اعتقادي الى التباين في المستوى الثقافي والاجتماعي للاسرة، فقد اثبتت نتائج المسح الاجتماعي الشامل الذي اجري على العديد من الاسر في مناطق مختلفة من الجمهورية ان نسبة كبيرة من الاب، يلجؤون الى الضرب والتوبيخ كوسيلة لعقاب الاطفال ، حيث اوضحت النتائج ان ٣و٦٨٪ في منطقة الشيخ عثمان مثلا يلجؤون الى هذه الوسيلة ، وتزيد النسبة في منطقة المعلا حيث تصل الى ٤و٧٣٪ وهذه النسبة تتساوى تقريبا مع منطقة ابين التي تصل نسبتها الى ٧و٧٠٪ . وتختلف هذه النسبة في منطقة دارسعد حيث يصل نسبة الذين يلجؤون الى التوبيخ فقط الى ٦و٢٥٪ والذين يلجؤون الى الضرب فقط الى ٧و٣٠٪ وفي عدن الصغرى وصلت النسبة الى ١و٢٣٪ توبيخ فقط ، و١و٢٦٪ ضرب فقط. ومثل هذه النسبة تقريبا في منطقة المنصورة ٧و٢٧٪ توبيخ ، و٨و١٧٪ ضرب . اما في منطقة كريتر فتصل النسبة الى ١و٢٢٪ توبيخ ٣و٢٢٪ ضرب .

ولست في حاجة الى عرض المزيد من النسب المئوية لبقية المناطق ولكنني اردت من هذا العرض ابراز اسلوب واحد من اساليب التربية الشائعة في مجتمعنا ، وهو الاسلوب الاكثر انتشارا ، بدليل نتائج المسح الاجتماعي الشامل . اما بقية الاساليب الاخرى كالتوجيه والحرمان من المصروف او الحرمان من الخروج وغيرها فتتفاوت نسبها من منطقة الى اخرى ، ولكنها لا تصل الى مستوى اسلوب الضرب والتوبيخ من حيث الانتشار حتى يخيل انه هو الاسلوب الوحيد المتبع في التربية في بلادنا .

وعلى هذا الاساس يمكنني ان اقسم طرق واساليب تعامل الاسر مع ابنائها في مجتمعنا الى خمس مجموعات :

المجموعة الاولى : هي التي تشعر الطفل بانه غير مرغوب فيه من الاب او الام او من كليهما .وهو لذلك لايجد في البيت اية عناية او اهتمام . فلاعجب ان نجد الطفل

في مثل هذه الاسرة معقدا نفسيا، فهو لا يشعر بالامن في البيت ولا بالحب ، ممايؤثر على سلوكه الاجتماعى ، فيضطر الى البحث عن هذا الحب بطرق اخرى ، ومن المحتمل ان يلجا الى الكذب والسرقة والتشرد والقسوة ، وربما يؤثر ذلك في مستقبل حياته .

والمجموعة الثانية : من الاسر، هى التى يسيطر فيها الابوان على الطفل في جميع الاوقات ، وفي جميع مراحل النمو ، وينوبان عنه بمايجب ان يقوم به هو ، ويتحكمان في كل عمل من اعماله ، ممايجعلانه يشعر بالاستبداد ، وفقدان ارادته ، وضياع شخصيته . ويعتقد بعض الاباء - خطا - ان التحكم في تصرفات الابن او البنت ، وخضوعهما لارادة الاب انه في مصلحتهما ، وربما يكون مثل هؤلاء الاباء قد تربوا تربية استبدادية ، فيعاملون ابناءهم بمثل ماعوملوا هم به .

وفي مثل هذه الاسر قد ينشا بعض البنين او البنات من يتمتع بسلوك حسن ، واخلاق مهذبة ، ولكن هذا السلوك لن يدوم طويلا ، اذ سرعان مايتلاشى ، لانه سلوك غير طبيعى لارتباطه بالاستبداد ، فكثير منهم عندما يصلون الى مرحلة المراهقة ينحرفون ، لشعورهم بالنقص والارتباك ، ممايسهل على اصدقاء السوء قيادتهم الى الضلال .

والمجموعة الثالثة من الاسر ، هى التى نجد فيها الابوين ينتبهان انتباها شديدا على الطفل ، ويبالغان في العناية به وقد يسرفان في التساهل معه ويبالغان في اظهار الحب له ، ولا يرغبان في التغييرات الطبيعية التى تطرا على نموه ، فيحاولان ابقاءه في مرحلة نمو ادنى من المرحلة التى قد وصلها حيث يظلان ينظران اليه - وهو في مرحلة المراهقة - كما ينظران الى صبى صغير ، ولا يطيقان التفكير بانه اصبح بحاجة الى نوع من الحرية .

وقد اثبتت التجربة ان البنين او البنات الذين يعيشون في مثل هذه الاسر ، ويتربون بمثل تلك التربية يصعب عليهم النجاح في الحياة، لانهم قد فقدوا الثقة بانفسهم ، وصاروا عاجزين عن مواجهة مواقف الحياة المختلفة ، وربما نجدهم يميلون الى الانطواء والتهرب من المسئولية .

والمجموعة الرابعة من الاسر ، هى التى يحتل الطفل فيها منزلة هامة، فينمو في جو من العواطف الحارة، والحب العميق المتبادل ، فيشعر الطفل بانه مرغوب فيه ، لانه يعيش في بيئة منزلية يسودها الحب واللطف والمعاملة الحسنة ، ومعظم المواطنين الصالحين هم الذين ياتون من هذه الاسر .

اما المجموعة الخامسة ، فهى الاسرة التى يعترف فيها الابوان بان ابناءهم وبناتهم ، اشخاص يختلفون بعضهم عن بعض ، وان كلا منهم ينمو نحو مرحلة من العمر يتمكن فيها من تحمل نوع من المسئولية، وصولا بهم الى ان يتحملوا مسئولياتهم الكاملة في الحياة . فهذه الاسر تعترف بان ابناءها وبناتها مطالبون بالقيام ببعض الواجبات بانتظام ، وتعترف لهم بالحق باتخاذ القرارات بانفسهم والبنون والبنات الذين يعيشون في مثل هذه الاسر لاشك انهم سيدركون ان للوالدين حقوقا وامتيازات يجب ان تحترم ، وهم لا ينتظرون في الوقت نفسه ان يكونوا موضع الاهتمام الزائد ، والعناية الدائمة ، لانهم قد تعلموا كيف يجيرون امورهم ، وينظمون حياتهم .

ان مثل هذه الاسر يستطيع افرادها ، بنين وبنات ، ان يعيشوا في وئام وانسجام تامين، لانهم يعالجون مشاكلهم بالمناقشة، وبروح التعاون والمحبة ، ففيها يعاقب الاطفال حينما يسيؤون التصرف ، ويتوقعون ذلك العقاب لانهم يشعرون انهم يستحقونه. وفيها ايضا يقدر لرب الاسرة دوره في القيادة ، وحقه في التوجيه والارشاد .

فالاطفال الذين يعيشون في مثل هذه البيئة المنزلية يتمتعون بحظ وافر من الوسط الاجتماعى ، الذى يؤهلهم لان يتكيفوا مع المجتمع تكيفا حسنا ، لان الوالدين قد استطاعا ان يوفرا لهم الفرص المناسبة لتكوين العادات الاجتماعية الحسنة ، حتى يصبحوا قادرين على التكيف مع المجتمع ، ويؤثرون فيه .

ان مثل هذه الاسر التى في هذه المجموعة قليلة جدا - للاسف - في مجتمعنا ، وهذا يستدعى ان نعمل على ايجادها ، ولن يتحقق ذلك الا اذا تظافرت الجهود جميعها وصولا الى خلق الاسرة السعيدة ، على طريق المجتمع السعيد ، مجتمع المستقبل.

انه بالقدر الذى تبذل فيه الجهود لتربية الطفل في المدرسة ، ينبغى ان تبذل ايضا في تربية الاباء والامهات وتثقيفهم بالثقافة الابوية الصحيحة، حتى لا تذهب جهود التربويين في المدرسة هدرا .